ديوان العرجى

شرح وتحقيق الأستاذ خضر الطائى

« ليقرأها صديقى معالى العلامة خليل مردم بك »

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

العرجى ، عبدالله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان من شعراء قريش الذين شهروا بالغزل والنسيب ، نحافيه نحو عمر بن أبى ربيعة وكان مشغوفاً باللهو والصيد(١). ولقب بالعرجى نسبة إلى « العرج » وهو ماء له بالطائف(٢) ، وكان من أبرز فتيان قريش عاش إلى سنة ١٢٠ هـ وقد اشترك فى الجيش الذى غزا القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبد الملك فى عهد سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموى ، وقد ذكر المؤرخون أنه كان كريما إلى حد الإسراف(٣) ومن صفاته الفتك والنجدة والشجاعة والجون ، وقد قيل إن ميله إلى القصف واللهو ومغازلة النساء

(١) الأغانى
(٢) معجم البلدان لياقوت مادة « العرج »
(٣) تاريخ الإسلام للذهبى

يمضى والصحة تضعف وأنا أتعزى بخداعية الأمل ، والله المستعان

روائع واسطاف :

ثم سألت معاليه السؤال الأخير : ما رأيكم فى أدب الجيل الذى يلى طبقتكم ؟

قال : فيه روائع ترتفع عن الشك ، ولكن فيه إسفافا كثيرا . ولا تدخل فى التفصيل فلن تنال منى شيئا

عباسى خضر

الحسناوات كان شديداً . أما شعره فيتسم بالطابع الوجدانى وقد نحافيه كما قلت نحو عمر بن أبى ربيعة حتى أنه اعتزى به عند وفاة عمر لسده مسده فى هذه الطريقة ، وقد ذكر الأصفهانى فى الصفحة ٣٨٧ من الجزء الأول من أغانيه :

أنه لما مات عمر بن أبى ربيعة بكته نساء مكة بكاء شديداً وقالت إحداهن « من لمكة وشعابها ، وأباطحها ، ونزهها ، ووصف نسائها ، وحسنهن وجمالهن ووصف ما فيها ! فقيل لها

خفضى عليك ، فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضى الله عنه ـ أى العرجى ـ يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه . فقالت أنشدونى من شعره . فأنشدوها فسحت عينيها وضحكت وقالت ـ الحمد لله الذى لم يضيع حرمه . وديباجة العرجى فى شعره مشرقة صافية عليها مسحة من الجزالة ولون من الرقة ، حتى أن المغنين تغنوا بالكثير من شعره ، وهو كما قال الأستاذ العقاد فى كتابه « شاعر الغزل ـ عمر بن أبى ربيعة » :

« إحدى هاتين المدرستين هى مدرسة الشعراء الذين اشتهروا بحب امرأة واحدة كما اشتهر قيس بليلى وعروة بعفراء وجميل ببثينة وكثير بعزة وتوبة بليلى . والمدرسة الأخرى هى مدرسة الشعراء الذين تغزلوا بأكثر من امرأة واحدة أو اشتهروا بحب النساء عامة كعمر بن أبى ربيعة والعرجى وابن قيس الرقيات . ومن هنا تتضح لنا صفات شعره

وقد ختمت حياة هذا الشاعر الفذ بمأساة ؛ إذ اضطغن عليه أمير مكة محمد بن هشام المخزومى فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وهو خال الخليفة فقبض عليه بتهمة أسندها إليه وضربه وسجنه ومكث فى السجن ٩ سنوات حتى توفى ، وله فى السجن جملة قصائد نفيسة منها قوله

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
وخلونى لمترك المنايا ونهد شرعت أسنتهم لنحرى
كأنى لم أكن فيه وسيطا ولا لى نسبة فى آل عمرو

ويذكر المؤرخون أن السبب فى سجنه هو أنه كان قد شبب

(٤) شاعر الغزل ص ٤٢ « سلسلة اقرأ »

فى جيداء أم محمد بن هشام المخزومى وكان واليا على مكة هجاء لابنها

وفيها يقول

عوجى علينا ربة الهودج ... إنك أن لا تفعلى تحرجى
إنى أتيحت لى يمانية ... إحدى بنى الحارث من مذحج
نلبث حولا كاملا كله ... ما نلتقى إلا على منهج
فى الحج إن حجت وماذا منى ... وأهله إن هى لم تحجج
أيسر ما نال محب لدى ... بين حبيب قوله عرج
نقض إليكم حاجة أو نقل ... هل لى مما بى من مخرج

ومن رقيق شعره وقد غنى به

أماطت كساء الخز عن حر وجهها ... وأدنت على الخدين بردا مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ... ولكن ليقتلن البرى المغفلا

وليتصور القارئ الذواقة جمال قوله « البرى المغفلا »

كما شبب العرجى بجيرة وفيها يقول

عوجى على فصلى جبر ... فم الصدود وأنتمو سفر

وتغزل فى أم الأرقص ـ محمد بن عبد الرحمن المخزومى ـ وفى عاتكة زوجة طريح بن إسماعيل الثقفى ، كما تغزل فى كلابة مولاة لثقيف ، كانت عند عبد الله بن قاسم الأموى . وفيها يقول :

قالت كلابة من هذا فقلت لها ... أنا التى أنت من أعدائه زعموا
أنا امرؤ جدبى حب فأحرضنى ... حتى بليت وحتى شفنى سقم
لا تكلينى إلى قوم لو انهمو ... من بغضنا أطعموا الحمى إذا طعموا
وأنعمى نعمة تجزى بأحسنها ... فطالما مسنى من أهلك النعم
ستر المحبين فى الدنيا لعلهمو ... أن يحدثوا توبة فيها إذا أثموا
هذى يمينى رهن بالوفاء لكم
فارضى بها ، ولأنف الكاشح الرغم (٥)

وقد حدثنا الأصفهانى فى أغانيه مرة أخرى فقال (٦) :

كان العرجى يحب أم الأوقص ، خرج ذات يوم إلى جنات الطائف متنزها فبصر بها مع نسوة جالسة ، فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب ، دفعته الحيلة إلى ما دفعت إليه جميلا إذ رأت أعرابيا ومعه سقاء لبن فرفع إليه العرجى ثيابه وأخذ قعوده ولبثه ولبس ثيابه ومر قريبا من النسوة ، فصحن به : أمعك لبن ؟ قال نعم ، ومال إليهن وجعل يتأمل أم الأوقص وينظر حينا إلى الأرض كأنه يطلب شيئا وهن يشربن من اللبن ، فقالت امرأة منهن : أى شئ تطلب يا أعرابى فى الأرض ؟ أضاع منك شئ ؟ قال نعم ، قلبى ، فلما سمعت أم الأوقص كلامه نظرت إليه ، وكان أزرق فعرفته .. فقالت العرجى ورب الكعبة ! ووثبت رستها نساؤها وقلن : انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك ، فمضى منصرفا وقال فى ذلك :

أقول لصاحبى ، ومثل مابى ... شكاه المرء ذو الوجد الأليم
إلى الأخوين مثلها إذا ما ... تأويه مؤرقة الهموم
لحيني والبلاء لقيت ظهرا ... بأعلى النقع أخت بنى تميم (٧)

فمن هذه الرواية يتضح لنا أنه كان يجارى ابن أبى ربيعة حتى فى مغامراته الغزلية وإن كان لا يجاريه فى الشعر . وإخال أنه كان يتقصد هذه الأعمال طلبا للموضوع الشعرى الذى ينظمه وخصوصا وهو من فتيان قريش المعدودين فى الحسب والجاه والرفعة والوسامة والفروسية والبطولة ومن ذوى اليسار

سقت هذه الكلمة الموجزة عن هذا الشاعر بمناسبة ديوانه الخطى النفيس الذى عثر عليه صديقنا الأستاذ الشاعر خضر الطائى ، والديوان نسخة خطية فريدة وحيدة فى العالم كله بشهادة كبار المستشرقين ، وقد نقلت عن نسخة خطية كان «ابن جنى» استنسخها لنفسه . فقام الأستاذ الطائى بتحقيقها وشرحها والتعليق عليها بعد مقابلة أبيات القصائد بكثير من كتب الأدب . كما كتب لهذه المجموعة مقدمة شائقة ألم فيها بشعر الشاعر وعصره وظروف ذلك العهد من الناحية الأدبية والسياسية وحلل فيها شعره مع مقارنته بشعر ابن أبى ربيعة من الوجهة الفنية ، ووصف المخطوط وكيف عثر عليه ، وقد اطلعت على الديوان قبل أشهر فنصحته أو أشرت عليه أن يقدمه إلى المجمع العلمى العراقى لطبعه ونشره حتى يكون فى متناول أيدى القراء فى كافة البلاد الناطقة بلغة القرآن ، ولكن يظهر أن المجمع العلمى العراقى لا يريد أن ينشر ذخائر الشعر العربى الخطية ، لذلك لم يقم لحد

(٥) رغم مكنه النون ولقد حركت للضرورة
(٦) الجزء الأول ص ٣٩٦
(٧) الحين . بالفتح الهلاك والنقم موضع فى مكة

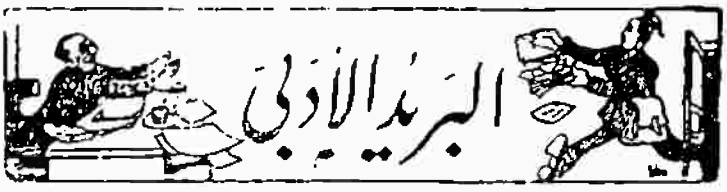

مع الصافي أيضا :

قلت في العدد ٩٣٤ من هذه المجلة إن الشاعر العراقي أحمد الصافي النجفي نزيل دمشق حاليا أنه استعمل كلمة « دهس » بمعنى وطئه وداسه وهو استعمال خاطئ إذ الصواب أن يقول دعس كما هو في القاموس ، ولكن يظن أن الصافي لا يعترف بالخطأ في استعمال الكلمات التي لا يقرها علماء اللغة . ولست أدري مرجع ذلك الإصرار أهو غرور أم اضطراب في الأعصاب ؟! فقد قرأت له في العدد « ٤١٤٣٥ » من جريدة الزمان البغدادية قصيدة بعنوان « حسناء تسوق حسناء » وجدت فيها كثيرا من الخطأ أحببت أن أنبهه إليها لعله يتدارکها في المستقبل . وقبل أن أدرج هذه الأخطاء أود أن ألفت نظر صاحب الجريدة السيد توفيق السمعاني إلى أن الشاعر الكبير كما وصفت الجريدة الصافي يجب أن يلم على الأقل بأبسط قواعد اللغة وبالمفردات ، فهل من الجائز أن يقع الشاعر الكبير الصافي في هذا الخطأ وهو

قال في مطلع القصيدة :

غانية فاقت على جيلها وحق قرآني وإنجيلها

لا يقال فاق عليه بل فاق الشيء وفاقه

ساقت أتومبيلا رقيقا لها يجري رخاء وفق مأمولها

لست أدري كيف تكون السيارة رقيقة وكيف تجري رخاء إذا كانت حسناؤه تسوقها

دقيق سير صوته كالغنا بأعذب النغمة مقبولها

بالرغم عن سخف هذا المعنى ففيه خطأ نحوي وهو أن يأتي اسم التفضيل بعد أعذب أقبلها أو أكثر قبولا فتأمل ؟ !

ثم يقول :

ألطف قد صيغ من جيله فيه التي ألطف من جيلها

انا أعطي جائزة لمن يحل هذه الأحجية غير اللطيفة

آخر موديل جمال كما موديله حلو كموديلها

إن الروي في هذه القصيدة الياء والحرف الذي قبله يجب أن يكسر ولكن حرف الدال في الموديل مفتوحة وكذلك أخطأ في قوله :

أحيته نهو الروح حلت به يلمس كفيها ومنديلها

حرف اللام في منديلها بعد الروي مفتوحة لأنها معطوفة على كفيها وهي مفعول لمس ، ثم يقول في ختام هذه الأبيات الركيكة التي تشبه نظم المبتدئين لا نظم شاعر كالصافي :

أهوى ركوبا لي في جنبها أولا فدهسا بأتومبيلها

إن ركوبا لي تركيب أعجمي إذ لا يقال أهوى الركوب لي بل

الآن بعمل يشم من رائحته أنه سيطبع الديوان أترك هذا الأمر إلى صديق العلامة الأستاذ محمد بهجت الأثري وفي الوقت نفسه أهيب بصديق العلامة معالي شاعر الشام الجليل الأستاذ خليل مردم بك أن يمد يده الكريمة فينشل هذا الديوان من وهدة الانظار ويبعثه من جديد وذلك بطبعه على نفقة المجمع العربي بدمشق كما فعل سابقاً . وبذلك يسدي إلى العربية جميلا لا ينسى وخصوصا وأن نسخة هذه الديوان فريدة من نوعها ، وشعر العرجي يستحق التقدير والاحتفاء ، وإن معالي الدكتور طه حسين باشا يوم كتب دراسته عن شعر العرجي تلك التي جمعت مع أخواتها في كتابه القيم « حديث الأربعاء » لو كان قد اطلع على كل شعره لكانت دراسته غير ما كتبت قبلا . ولعله الآن يتفضل فيسدي هو بدأ كريمة أخرى بتنبيه الحكومة العراقية إلى أن المخطوطات العربية إن لم يقم المجمع العلمي العراقي بطبعها فمن الواجب أن تشكل لجنة من كبار الأدباء في العراق برئاسة وزير معارف العراق غايتها دراسة تلك المخطوطات ونشرها في حلل قشيبة تناسب مقام أصحابها ومواهبهم ، ولعلنا نأمل خيراً على يديه

بغداد ـ أمانة العاصمة **عبد القادر رشيد الناصري**